

سحر محمود علي

رواية

رقصة كيميا

ورقات للنشر والتوزيع

رقصة مكيما

اسم الكتاب: رقصة مكيما

رواية

سحر محمود علي

الغلاف : د. أحمد جمال عبد
مهديل الغلاف الفنانة الفرنسية ماري ديكلارين

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠١٩/٣٦١٧

تحذير:

جميع الحقوق محفوظة للدار وغير مسموح بإعادة نشر..
أو إنتاج الكتاب أو أي جزء منه.. أو تخزينه على أجهزة
استرجاع أو استرداد إلكتروني أو نقله بأية وسيلة أخرى.. أو
تصويره.. أو تسجيله على أي نحو دون أخذ موافقة كتابية
مُسبقة من الناشر..

الآراء الواردة في هذا المحتوي تعبر عن وجهة نظر المؤلف
ولا تعبر عن توجه الدار.

حقوق

الطبع

محفوظة

الطبعة

الأولى

2019

مقدمة

وما الفضل إلا من عند الله، وما الفتح والإلهام إلا منه.

سنوات وعقلي يراودني في تجسيد أبطال رواياتي، وإخراجهم من زنازين معتقل صنعته لهم بحجة أنه لم يئن الأوان بعد أو أن رواياتي ستشكل صفحات جديدة في تعداد الكتابات الفاشلة التي سيلعنها القارئ؛ لاغتصابها جزءاً من وقته الثمين في قراءة صفحاتها، قلبي لا يحتمل ذلك ولا أمتلك الجرأة لمواجهة النقد أو أن أكون صانعةً للملل في عالم القراءة الذي اعتبره المنفذ الوحيد للهروب من جفاف الحياة وكدرها.

ولكني الآن أواجه ثورة داخلية تلح عليّ في ظروف ما أقساها! ما تخيلت أنني أستطيع فيها الإمساك بالقلم من جديد؛ لأفرج عن أبطال قصتي:

(رقصة كيميا) التي خلطت فيها بين الحقيقة والخيال.

وأقدم اعتذاري مرة أخرى إن وجدتم بين صفحات

الرواية مالا يسركم فالله يعلم أنني لا يد لي فيما أكتب،
ولا علم عندي بمن سيرميّه حظه؛ ليقراً عن كيميا.

سحر محمود

الإهداء

دائما ما يكون الإهداء للأحباب المحيطين بنا أو أصحاب الفضل علينا، وكنت أود فعل ذلك وخاصة أن هذه أولى تجاربي الروائية، وقد تكون الأولى والأخيرة، ولكنى لا أستطيع فعل ذلك، إهدائي سيكون لمن أشعر أنها هي من سطرت حكايتها بنفسها، حتى ولو كانت روحًا في خيالي وحدي؛ فقد كتبت كيميا قصتها بنفسها.

يا كيميا

أهدي إليك ما كتبه إحدانا؛ فأنا وأنت الآن
ممتزجتان في عالم آخر.

سحر محمود

حيرة الاختيار

يقولون: إن لكل من اسمه نصيبًا، والهادي حمل من اسمه نصيبًا يلحظه القريب والبعيد: هادي الطبع، طلق المحيا، منسجم التفاصيل، هكذا كان منذ نعومة أظفاره.

والآن وقد أصبح شابا، وقد أنهى دراسته الجامعية بكلية الآداب قسم التاريخ وقد تدرج في إعداد دراسته الأكاديمية، وعمل بنفس الجامعة التي تخرج منها، وهو يعد العدة لمناقشة رسالة الدكتوراة، ولكنه منشغل في اختيار الأمر الفريد الذي سوف يقوم بالعمل عليه، ومناقشته بعيدا عن التواتر والتكرار.

و لأنه من أسرة عريقة تمتزج بالعرق التركي من ناحية الأم ؛ فالجد الأكبر للأم كان من تلامذة نعمة الله الحسيني أحد مريدين جلال الدين الرومي، الذي قدم من قونية؛ ليستقر في القاهرة، وينشئ التكية المولوية للدراويش منذ قرون بعيدة، وذكرها حي حتى

الآن وإن تغير الغرض منها.

فهي الآن إحدى الركائز الأثرية التي تعقد فيها الندوات؛ لتنمية المهارات العلمية والمهنية للعاملين بمجال الآثار.

لديه مكتبة ضخمة ورثها عن أجداده، كلها في علوم الدين وعن التصوف خاصة، مؤلفات جلال الدين الرومي التي تزدحم بها الأرفف، إلا إنه لم يسلك نفس المسلك للعائلة الصوفية؛ فهو بطبعه عقلاني، ويرفض التصنيف والخضوع لأفكار بعينها.

لا يدري كم من الوقت استهلكه في حيرة الاختيار، جلس ليحتسي فنجانا جديدا من القهوة رافضا النظر للساعة التي لا وقت لديه لسماع دقائقها و التي تعلن عن حلول منتصف الليل.

شمس التبريزى

لم يهنأ بمذاق القهوة، ولم يشعر متى انتهى من احتساء آخر قطرة من فنجان قهوته إلا إنه انتبه فجأة لنداء غامض يأتيه من الرف الثالث تحديدًا؛ ليقف ويتحرك متجهًا إليه، وتتجه أنامله بحرص ليلتقط مخطوطًا قديمًا مهترئ الصفحات يحمل عنوان [شمس التبريزى] ولكنه سرعان ما وضعه مكانه مذكرًا نفسه أنه لا يؤمن بمثل هذه الشخصيات، وشطحاتها المغلفة بالغموض والإثارة والجدل، ثم تعاوده الفكرة مرة أخرى ليجد نفسه قد تخير نفس المخطوط، وقد أقنع نفسه مجددًا أن الباحث المتميز عليه تناول شخصيته بحيادية تامة مهما كانت قناعته الشخصية بالسلب أو الإيجاب، أخذ يستجمع أفكاره المتناثرة هنا وهناك واقفًا على عتبات البداية، بداية الدخول إلى عالم الغموض.

ليفعل الله ما يريد

تلك الأوراق الصفراء على حافة الدوبان، لكن الحروف صامدة بارزة، وكأنما هي جيوش مجيشة تنشر أسلحتها عبر الصفحات في نظام دقيق، وقد تراصت لحماية طلسم سري يرفض الإعلان عن نفسه في شخص هذا الرجل، ومع الانهماك في القراءة لم ينتبه لصوت أذان الفجر المنطلق شاقا لظلام الليل معلنا عن ميلاد يوم جديد، وقد اخترق هذا الشرود صوت والده السيد أحمد يدق على باب الحجرة.

- أنت هنا يا هادي ؟

- نعم يا أبي تفضل.

يدخل الوالد مبتسما، وهو ينظر إلى فوضوية الغرفة من حوله، أكوام من الفناجين استهلكها هادي أثناء سهرته هذه ما بين قهوة وشاي.

- يا هادي لو كانت والدتك على قيد الحياة، ورأت

هذه الفوضى في الحجرة المقدسة لطردتنا شر
طرده.

- عليها رحمة الله يا أبي، هذا قدرك أنت معي
فتحملني إذن.

- ألم أقل لك مرارًا: تزوج، وأرحنا من هذا العناء؟

- لن أتزوج يا أبي إلا بعد مناقشة الرسالة بعدها افعلوا
بي ما تريدون ولن أمانع ساعتها.

- أرى ملامحك تشير إلى أنك وفقت في اختيار
موضوع الرسالة أخيرًا

- نعم يا أبي أظن ذلك، وها هو موضوع بحثي.

تبدلت ملامح الأب إلى توتر ملحوظ حين لمح
المخطوط بين يدي ولده وقال متسائلًا:

- شمس التبريزي؟! لماذا يا بني؟

- لا أدري يا أبي، ولكنني وجدتهني أستقر عليه بعد
طول تردد!

ظهر الانزعاج والقلق الشديد مرة أخرى على وجه

الوالد، ولكنه بعد لحظات قال بتردد: طالما اخترت
فأذكرك بشيء واحد ضعه نصب عينيك [كن حياديا
وكفى] هيا بنا الآن لصلاة الفجر وليفعل الله ما يريد.

على عتبات الفخ

أشهر مضت والرسالة بين يديه: ما بين الحذف، والإضافة، والتعديل وعقل مزدحم مرهق يكاد أن يضل فيشبه قلب بالله استقر، برغم أن شخصية غير عادية مثل شمس التبريزي كلها توحى بالحيرة، والغموض وتجعل نظرية الحيات شبه مستحيلة لمن يدخل متاهات عالمه إلا إنه حاول كثيرا تجاوز الأزمات، ولكن شيئا واحدا وقف حائلا بينه وبين تحقيق أي حيادية في هذه الرسالة المصيرية، فقد كان شمس بفكره الرشيق يدعو إلى المحبة المجردة، ولا يلتفت لسطحية الأشياء من حوله، وكانت رسالته كيف يعلم الناس تبادل المحبة، وتنظيف وطهارة القلوب دون الالتفات للقشور الخادعة، توقف هادي عند شخصية معينة، ولم يستطع تجاوز الفخ المنسوب بإحكام.. إنها كيميا التي أفقده توازنه، بل وجعلته ينظر بطريقة أخرى إلى شخصية شمس لم يستطع السيطرة عليها نهائيا.

كيميا

تلك الفتاة الصغيرة غامضة التصرفات، كيف كان عالمها؟ وكيف كانت ترى مالا يراه الآخرون؟ كانت نبتة نادرة تواجدت بقلب صحراء قاحلة بل لنُقَل: كانت كأشجار السرو التي تنمو فوق الجبال فلا الرمال تتفاعل معها، ولا هي تجد لنفسها وجودًا وسط هذا الجفاف.

وسط أشخاص أقصى تقديراتهم الحياتية سد حاجة البطون النهمة الجائعة؛ لتجد نفسها تقضي وقتها وسط الحقول، والأعمال الشاقة لجلب الرزق، ولا يعلم أحد إنها تتجول بين حقول ومراع أخرى لا يعلمها إلا الله، ولا تدري هي عنها أي شيء.

كيف ومن أين جاءت نجدتها على لسان ذلك الناسك الذي زار منزلهم ليخبر والدها بالمصير المحتوم أن تهجر كيميا أوطانًا نبتت فيها ثمارها لتخوض عالمًا مجهولًا، وأرضًا بعيدة، تشكل لها وطنًا

سطره القدر ترتمي بين أحضانها، عالمًا ألفتها روحها،
وسعت إليه بصيرتها، وهما هو الهيكل سيحقق اكتمال
التواجد والمعيشة.

إنه في ضيافتهم

إلى جانب ما كان يقوم به من صياغة الرسالة إلا إنه كان يحرص دوماً على تسجيل ما يمر به أثناء التجربة في أجندته الخاصة، الكثير من تعبيراتنا ترفض الخروج إلا من خلال حافظة أسرارنا الشخصية.

يجلس هادي دائماً في حالة استرخاء ممسكاً بقلمه؛ ليسطر ما يمر به من انفعالات.

كتب ما يمر به أثناء رسالته قائلا:

اعلم جيداً مقولة: إن روح الكاتب تحلق بين صفحات كتبه، ولكنني لم أجربها من قبل إلا من خلال إبحاري عبر هذا المخطوط الذي رأيت به أرواحاً قد انطلقت ترفرف من حولي، وأسمع نقاشات خافتة فيما بينهم أحيانا ترتفع نبرات أصواتهم، وأشعر بأحدهم أو جميعهم يقطب جبينه عابثاً في وجهي رافضاً معترضاً على ما أكتب، لكنني بالطبع لن ألتفت لهذه الأوهام إلا مع كيميا التي وجدتها بدون قصد مني، وقد

تدفقت مشاعري تجاهها وعشقت وجودها، وتدرجيا
وجدتني أعطي لنفسي كامل الحق في اختراق عالمها
ومراقبتها، ومحاولة الثأر لها من شمس الذي سلب
الوردة عطرها منذ اللحظة الأولى لظهوره في حياتها،
فلا هو تركها تحيا على أغصانها بجانب الرومي كما
كانت، ولا هو رواها بمحبته التي كان يوزعها حتى على
رمل الطريق أثناء مسيرته، ما كان أمامي إلا أن أضع
شمسًا في زنزانة خاصة صنعتها له من أجل كيميا؛
لأبطل صدق رسالته التي نادى بها بعموم المحبة
على إطلاقها، لم يحاول الخروج من سجنني هذا، ولم
تفارق بسمته وجهه ولا تغيرت ملامحه النورانية بل ولم
ينهرني أمرًا إياي بالكف عن التدخل بينه وبين زوجته
ولزوم الحد.

٢٢ يناير ١٩٨١

في حضرة الجفاف

كنت أشعر بالجفاف تجاه تلك الشخصية الأسطورية
في أعين محبيها وأتعجب، كيف لشخص مثل شمس
أن يشغل عقول أناس وصفتها في رسالتي بالسذاجة
والجهل والضحك على عقول الناس بدروشة فارغة؟

لكن لا بأس سأعتبر نفسي أتحدث عن سقراط أو
أفلاطون أو حتى الحكيم بوذا لو أردت إضفاء صبغة
تفخيم الشخصية المطروحة أمامي وقد لا تفارق عيني
ملامحه المنسجمة ونظرته الحادة بردائه الأخضر
المميز، رحلته في الحياة بحثًا عن الرفيق أو المكمل
لروح تشناق لشيء ما... اختلافه عن إخوته والمحيطين
به، ونطقه لكلمات طلسمية مبهمه، طوافه في أرجاء
البلاد بحثًا وتعطشًا لروح تشبهه أو تكمله، كل هذه
مشاعر قد تنتاب أحدا في بعض الاوقات، ولكننا
نحكمها بالعقل ونتغاضى مستغرقين في حياتنا المزدحمة.

٢٥ يناير ١٩٨١

في رحاب البراءة

الحق يقال كنت أتقافز بين الصفحات كالأطفال حتى أصل إلى ما يخص كيميا، وأراها كالفراشة تهيم هنا وهناك ولكني لا أستطيع ملاحقتها حين تسبل جفونها، وتختفي روحها بعيدا حيث لا يعرف أحد.

حتى بعد محاولات إفاقتها واستعادتها وترد عليهم بردها المعتاد [لا أدري أين كنت] وتصف لهم أماكن لا يعرفون عنها شيئا، وتنطق بكلمات تفوق عقول الجميع..... هنا يلوح لي التشابه بينها وبين شمس في كلماتها، ولكن من الظلم أن أشبه هذا الملاك الرقيق بدرويش هائم على وجهه حتى أنني لو أتيح لي التدخل لمنعتها من السفر، والتوجه نحو القدر المحتوم في حضرة الرومي وشمس، لذي شعور غريب أنني أصبحت مسئولا عنها وبرغم أنها تراني لم تهتم بملاحقتي إياها، ولم تنظر لي من الأساس إلا بعد أن بلغ تدخل ذروته وفاق صبرها على ما أظن.

٢ فبراير ١٩٨١

أحداث متسارعة

تابعته في منزل الرومي، وكيف كان يعاملها كابنة له، وكيف سقاها من بحار العلم، ولو سمح لي وأزيلت الحجب لمددت إليه يدي مصافحاً شاكرًا لما يفعله معها، كان جلال الدين الرومي رقيقاً مثل كيميا محباً للمخلوقات حتى إنني رأيته يعطف على قطة الطريق وكان يذهب إلى أماكن متفرقة لإطعام إناث الكلاب المرضعات في أطراف البلدة وطرقها.

حتى ظهر ذلك الشمس فقلب الدنيا ولم يقعداها، واختطف مني كيميا.

هكذا ظننت؛ فقد رأيت نظرتها وبريق عينيها عندما تلمحه آتياً ومحاولتها الحديث معه والتقرب منه فاشتعلت غيرتي... نعم أغار عليها ولا يتهمني أحد بالجنون؛ فهناك أشياء لا تعترف بالمنطق والمعقول، ولا إرادة لنا فيها، كنت أحاول جذبها من يدها إذا رأيته تتجه نحوه في خلواته بعيداً عن رفيقه الروحي

الذي تعلق به، وذهب عقله في حضرته، وتخلي عن وقاره وهيبته بمجرد ظهوره، وشغل به عن كل من حوله بما فيهم كيميا وزوجته وأبنائه ومريديه، مسكين هو الرومي؛ فقد وقع في شرك ساحر بالتأكيد أفسد عليه دينه ودنياه، وقد رأيتَه بنفسه يتخلي عن كل ما قام بدراسته أو تدريسه لمريديه من العلوم الشرعية، ويتخذ أوامره ونواهيه من درويش جوال يطلب منه ما لا يتفق مع الشرع في شيء، إذ كيف لعالم دين أن يصمت على فعل مجنون قام به شمس حين جمع كتباً قيمة نادرة في مكتبة الرومي التي يعتز بها، ولا يجعل أحداً يقترب منها حتى للتنظيف، بكل بساطة أخذها شمس ورمها في البئر كتاباً تلو الآخر، ولم يجرؤ الرومي على الاعتراض أو المناقشة، كل ذلك شاهده ورأته كيميا أيضاً إلا إنها لازالت تنظر إليه بنظرها الحالمة.

١٦ فبراير ١٩٨١

نار الحجب

مع استمراري في الانكباب على البحث والكتابة بنهم، ومع تدخلني الشخصي في علاقة كيميا بشمس ونظرتي لها وجدتها وبدون سابق إنذار تغلق في وجهي مدخل عالمهم المحاط بسور عظيم أظنه من الفولاذ، فلم أستطع رؤيتهم، وأخذت أطرق على الباب ولكن لا مجيب.

كان وقع الحدث شديداً عليّ، ولم أكن أتوقعه، وظللت لفترة لا أستطيع كتابة حرف من هول ما أشعر به من فقد، بعد فترة تداركت نفسي، وأعملت العقل، وبدأت أكتب من جديد وكتبت بشراهة؛ فقد كنت أصل الليل بالنهار حتى وصلت إلى مشاهد زواج رجل في الستين من عمره من فتاة لا تتعدى الستة عشر عاماً.

كيف التقى الربيع بالخريف؟ لا أدري!

كيف يسمح لنفسه أن يعاملها بجفاء وغلظة، وهو الذي نادى بالمحبة في كافة البقاع والأرجاء؟ كيف

كانت أحلام كيميا وردية حين قررت الزواج من شمس التبريزي؟ فقالت: سأمنحه الكثير من الحب وأجعله سعيدا لذلك يجب أن يتغير، سيتعلم أن يكون زوجا صالحًا وأبًا صالحًا.

كم كانت ساذجة متفائلة أكثر مما يجب إذ ظنت أنها ستغير من شمس الحاد متغير المزاج والطباع، كيف للرومي أن يقدمها كبش فداء مقابل أن يضمن وجود شمس بجانبه وعدم هروبه مرة أخرى واختفائه عنه مثلما فعل وابتعد عنه شهورا عديدة كان فيها الرومي يتقلب على الجمر من حرقة الشوق والفقد... أنا لا أدرب حتى الآن سر العلاقة والتعلق من الرومي برجل لا يشبهه في شيء !

١٨ مارس ١٩٨١

مقايضة

مع قرب اكتمال البحث من نهايته، ومع اشتداد مهاجمتي لشخص شمس التبريزي الذي صورته كقاتل، سفاح، اغتال الوردة التي كانت تتربع على عرشها ندية طاهرة، وسمحت لعقلي أن يتصور كيف أن كيميا بعد مرور أشهر عديدة على زواجها من شمس، وهو يتجنبها ويتركها وحيدة بلا أنيس ويرفض خروجها، غيرة أو استحواذ وتحكم أناني؟ لست أدري. وكيف لم يقربها طيلة هذا الوقت لسبب مبهم لا أعرفه، ولم يصل إليه أحد في الترجمات التي كتبت عنه، لم أستطع تصويره إلا مريضاً به لمم فمن ذلك الذي لا يفتنه جمال كيميا؟!، كيف كاد قلبي أن يتوقف حين اشتد الوجد بكيميا؟ واشتعال رغبتها في العيش ككل الزوجات وامتزاج الأجساد بالأجساد، ويا له من شعور مؤلم مميت أن أحاول الاقتراب من محبوبتي، وأن تنصهر ذاتي في ذاته لمتعة قد أحلها لي الله.

ذهبت كيميا إلى وردة الصحراء أو عاهرة الحان

سابقا، التي تابت على يد شمس التبريزي، واعتزلت
الجميع وتنسكت، وتفرغت للعبادة.

كيميا تطرق باب وردة الصحراء؛ لترجوها أن تعلمها
فنون الإغراء لتغري زوجها المعرض عنها!

آه يا كيميا... لست بحاجة إلى إغواء أحد فمن
تاه عن جمالك فهو أعمى البصر والبصيرة بالتأكيد،
هكذا رددت بداخلي، وانا أشتعل غضبا وحنقا

تخيلتها و هي تجملها، وتضع لها الطيب بيدها،
وأقسم أنني أشم عطرها الآن، لقد كان العطر يتعطر
من كيميا، ألبستها أبهى الثياب الحريرية من أرقى
حوانيت قونية، وتدلت جدائل شعرها على كتفيها فزاد
الحسن حسنا والبهاء بهاء.

[كان الليل يزين جسدها بل كان جسدها يزين
الليل]

من يرى كيميا في هذا الوضع يخضع بين يديها،
ولو كان ناسكًا عابدًا أو راهبًا منصرفًا.

توقعت أن ينهزم طغيان شمس ليلتها، وأن يرفع راية

الاستسلام ويمنحها ما تريد إلا أنني وجدته يعرض عنها
بل ويؤنبها بجفاء على ما فعلت، كيف يطفئ الجمر
المتقد بالثلج؟

من يظن نفسه شمس؟ هل هو يوسف الصديق الذي
تصدى لإغواء زليخا إذ أوصدت الأبواب، وقالت:
هيت لك؛ فقال: معاذ الله؟

أم هو يحيى حين تحدى سالومي ورفض إغراءها؟
أدار يوسف ويحيى ظهورهما لما يغضب الله ببرهان
وإعانة الهية، ولكن أن يدير شمس ظهره في وجه من
أحل الله له فهذا شيء عجيب، لا يمكن تصديقه.

كسر نفسها في هذه الليلة الحالكة السواد، وما
أقسى لحظات الذل والانكسار على الورود الندية
والقلوب المتحرقة شوقا ووجدا!

وكم قد أذل الحب من متعزز فأضحى وثوب العز
عنه سليب

لك الله يا كيميا.... لك الله، استدارت كيميا تلملم
أشلاءها، وخرجت من غرفته باكية مطرقة لا يسمع

ضجيج قلبها سوى من خلقها، تهالك جسد كيميا
بعد معركة خاسرة، وماتت بعد هذا الحادث بأيام.

كاد يجن جنوني عليها، وأنا أتخيلها على فراش
الموت، تفارق دنيانا بسببه وهو يقف صامتًا صامدًا
بركن من أركان الغرفة ينتظر توقف آخر نبضاتها...

هنا عند هذا الحد وجدتني أشم عبيرها، لست
بنائم أنا بكامل يقظتي وانتباهي، أشم رائحة كيميا في
غرفتي، حدقت بعيني فوجدتها قادمة نحوي بخطوات
ثابتة رشيقة كغصن البان، وقفت أمامي قائلة: أما آن
الأوان ليعتدل ما مال منك يا هادي؟

لحظات شلل تام مررت بها قبل أن أستطيع أن أتفوه
بحرف أمام هول المفاجأة، واجتماع كل الانفعالات
المتناقضة من رهبة وخوف وشوق ووجد وفرح والكثير
من المشاعر فاقت الحد.

أعادت عليّ كلماتها للمرة الثانية، وهي تقول: أما
آن الأوان؟

نطق بعدها لسانى بصعوبة وتلعثم:

- كيميا حبيبة القلب، كيف هان عليك أن تغلقي بابك
دونني بغير ذنب؟ كيف تغييبين عني كل هذا الوقت؟
نظرت إليّ كيميا بعيونها الحوراء نظرة عتاب حادة،
واستطردت قائلة:

- أولاً: أنا لست حبيبتك، أنا حبيبة وزوجة الشمس.

ثانياً: ما جئت لأستمع إلى تلك الكلمات، لقد
أتيت لهدف محدد، وقد فاق ظلمك لزوجي كل
الحدود، وكذبت في تناولك لشخصه، ولم تلزم
الحياد، وسمحت لتصورك أن ينسب إليه ما لم
يكن منه، مثلك كمثّل من سبقوك وكتبوا عنه معي،
بل تفوقت عليهم، وصورت المشاهد ببشاعة كأنه
قاتل، وزورت الحقائق.

- أية حقائق يا كيميا والتاريخ يذكر أنه تسبب في
موتك، ولم ينصفه أحد على أي حال، وأنت تريدين
تبرئته حتى بعد أن أزهد روحك لازلت تدافعين
عنه؟ وتستنكرين تعاطفي وغضبي لأجلك؟!

- أنت لا تعرف شيئاً، ولم تر عينُ بصيرتك شيئاً،
ولم تلزم الحياد في تقديم بحثك الذي ستنال

به درجتك العلمية المنتظرة، ولو كنت عادلا
لساعدناك، ولكنك خرقت كل المعايير.

- وكيف لي أن أشاهد تلك الحقائق التي تحدثيني
عنها، وقد أغلقت في وجهي أبواب عالمكم فلم
أعد أرى إلا ما ترويه المراجع وأتخيله.

- حجبناك لسوء فعلك وظنك، فما الذي يمكنك أن
تقدمه لي الآن لو أزلنا تلك الحجب وتركنناك ترى
بنفسك مالا تعلمه؟

- سأقدم لك روعي يا كيميا.... أقدم روعي مقابل
ذلك.

تبسمت كيميا أخيرا في وجهي؛ فجعلتني أشعر أن
الأرض التي أقف عليها تقبل جبين السماء!

قالت:

- هل أنت واع لما تقول؟ أتذكر ما قاله شمس حينما
كان يطوف أرجاء الأرض بحثا عن الرفيق، وقيل
له: لو حققنا لك مرامك والتقيت برفيق روحك
فماذا ستقدم مقابل ذلك؟

- نعم أذكر فقد قال: سأقدم رأسي.
- وقد فعل كانت رأسه في النهاية مقابل التقائه بالرومي.
- أجل ذكرت ذلك في بحثي حيث إن شمسًا اغتيل في النهاية على يد مريدي الرومي أو أحد أبنائه؛ فالأقوال مختلفة في حقيقة هذا الأمر، وقد ظلت ظروف موته غامضة مثلما كان غامضاً في حياته ...
- وهنا توقفت عن الإسهاب في الكلام وقلت لها:
أتقصد أنك ستقتليني يا كيميا مقابل إزالة الحجب؟
- لا يا هادي لن أقتلك، ولكنك ستقدم روحك مقابل ما ستشاهد من أحداث، أرجوك لا تنسَ كلامي.
- وتركتني غارقاً في حيرتي وشوقي في غمضة عين
كما جاءت ذهبت ولكن عبقها لا زال يغرق المكان
ويغرقني.

٢١ مايو ١٩٨١

دوست

بت ليلتي أسترجع ما كان بيني وبين كيميا أكان
حقيقة أم خيالاً؟

و أبي المسكين يلاحظ في صمت ما يعتريني من
تغير وشروء، وتبدو عليه نظرات القلق، وأسئلة كثيرة
أراها تحوم في عينيه، ولكنه يربط على لسانه فلا
ينطق، أنا أيضاً أفضل أن لا يسألني حتى لا أزيد من
قلقه الذي أرجعته في نفسي إلى إحساس الأب، ولم
أشك لحظة أن الأمر أكبر من ذلك.

في اليوم التالي ومع دقائق الساعة العاشرة أتت
بخطواتها المعتادة ورائحتها المميزة، وجلست أمامي،
تلقيتها هذه المرة بابتسامة ونظرة حاملة لا أملك أن
أبدلها أو أخفيها.

بادرتني قائلة:

- هل أنت على استعداد الآن للسماع؟

أجبتها على الفور:

- ملك يمينك، وكلي آذان صاغية.

قالت:

- سأبدأ معك الرحلة منذ زيارة أحمد الدرويش فقط
استدع كل تركيزك، وشاهد في صمت.

استجمعت كل تركيزي، وكأنما ظهرت أمامي شاشة
عرض كبيرة أو أنني قد انتقلت بالفعل إلى عالمهم،
مكان لا أعرفه ولم أره من قبل كأنني خارج نطاق
الزمان والمكان، شاهدت كيميا، و هي فتاة صغيرة
تجلس فوق صخرة أمام شخص ما يرتدي ملابس
غريبة مرقعة، أظنه أحمد الدرويش القادم من قونية،
وكيميا محنية الظهر وبيدها عصا تخط بها على التراب
ما يعلمها أحمد كتابته وتناقشه في الحكمة من تعدد
اللغات، وهو يرسم لها على التراب حروف كلمات
فارسية لا تفهمها فتسأله قائلة: أرجوك أقرأها لي

صاح أحمد:

- [دوست]

قالها مغمض العينين، أسير الكلمة كما لو كانت
أبيات قصيدة هزت مواجيده ومواجيد كيما في
الجانب المقابل فرددتها أكثر من مرة كأنما تتلذذ
بها...دوست...دوست

- ماذا تعني هذه الكلمة؟

أجابها أحمد على الفور:

- إنها تعني الرفيق، الحبيب، محط شوقنا.

هنا قطعت كيما استغراقي في المشاهدة و هي
تنطلق قائلة:

- منذ ذلك اليوم وكلمة دوست تملكني وتتغلغل داخلي
كلحن أخشى تفلته مني وضياعه، كان دوست هو
هدفي المنشود الذي أبحث عنه في وقتي المفقود
الذي أذهب فيه بعيداً عن الجميع، إنني في طريق
البحث عن الرفيق، رفيق الروح الذي سيصحبني
إلى عالم لا أعرفه، إلى عالم لا يعرفه سوانا.

كنت أستمع إليها بكل جوارحي، دون أي مقاطعة،
وكانت هي تتنقل بي بين المشاهد واللقطات شارحة ما

قد يستعصي على فهمه حتى إنها جعلتني أحضر معها
دروس الرومي، ذلك الرجل العالم الفقيه الذي وهبه الله
خاصية الإقناع، وزرع محبته في قلوب من حوله ووقروه
وعظموه فهو صاحب منزلة رفيعة بين مريديه ومحبيه
ومرجع شرعي لمن يتدارس علوم الدين في قونية وما حولها

كانت الأمور تمشي على ما يرام إلى أن ظهر شمس
التبريزي وتصدر الأحداث وتغير كل شيء في حياة
الرومي وكيميا.

هنا عند هذا الحد غادرت كيميا مع وعد بتجدد
اللقاء في نفس الموعد.

تركنتي وقد أغمضت عيني استرجع ما مر من أحداث
وأتمنى أن تسرع بي الدقائق والساعات وتقذفني نحو
اليوم التالي لأتمكن من لقائها سريعا ولساني يردد
بشغف أنغام مقولتها [دوست]

٢٢ مايو ١٩٨١

بصحبة زوجها

كل مرة أحضر كلماتي التي سأقولها لها لدرجة أنني أحدث نفسي كثيراً كي لا تتبعر كلماتي أمام متاهة كيميا، ولكن لا فائدة فالكلمات تتحداني وتتفلت مني وكأنني طفل صغير لم يتقن حروف اللغة بعد،

وعلى نفس الموعد جاءت كيميا، وانتشرت في الغرفة نفس الرائحة ولكن هذه المرة خالطتها رائحة أخرى تختلف عن رائحة كيميا، رفعت عيني لأفاجأ أنها لم تأت بمفردها بل كان بصحبته شمس التبريزي بنفس ردائه المميز ونظرته الحادة الغامضة أو الحنون وملامحه الجميلة المريبة... ويحي إن هذا الرجل تجتمع فيه كل التناقضات في وقت واحد.

ألقي السلام، وجلس أمامي قبل أن أرد السلام.

تحدثت كيميا فقالت: نعلم ما يدور بذهنك الآن، وسيتفضل شمس بالإجابة عن كل تساؤلاتك.

قالت ذلك ونظرت إليه بابتسامة أقل ما يمكن أن يقال عنها إنها بسمه ساحرة من ثغر تستحيى لوحات أعظم فنان في الوجود من محاولة محاكاته.

أوماً شمس برأسه وقال لى:

- أعلم مدى حيرتك وتخطبك أمام الكثير من الأحداث، وقد اتفقنا على إزاحة الستار؛ لترى بنفسك ما عمي عليك وعلى التاريخ منها على أن تذكرها بأمانة، وأراها مهمة شاقة وليست بالهينة، ولكنه القدر الذي اختارك لذلك رغم أنني مشفق عليك، وكنت أفضل أن تقف على الشط بعيداً، ولا تحاول اختراق بحارنا هكذا.

لازلت لم ألملم أفكاري بعد مع هول المفاجأة، وعمق كلماته وجديتها وأول ما خطر ببالي مشهد شمس وهو يطلب من الرومي الذهاب إلى الحان ليأتي له بالنبيذ ولا يكفي بذلك بل يطلب منه أن يشرب منه أمامه!

ولم ينتظر شمس نطق لساني بما أريد الحديث فيه، وكأنني أمام ساحر قارئ للخواطر، ورأيتني معه

في قلب الحدث وأشاهده، وهو يطلب من الرومي الذهاب إلى الحان و الرومي برغم ما أراه في عيونه من حيرة واستغراب إلا إنه يومئ برأسه، ويذهب متخليا عن جلاله ووقاره وسط استهجان الجميع ينطلق بالنيذ عائدا إلى شمس الذي يطلب منه أن يضعه على فمه ليشرب لأجل خاطره.... هنا عند هذا الحد وقبل أن يقرب الرومي القنينة من فمه يزيحها شمس بيده بحركة سريعة ويريقها على الأرض دون أن يتمكن الرومي من شرب قطرة واحدة منها.

وقبل أن أتوجه بسؤالي عن السبب وما الدافع من البداية لجعله يدفع رفيقه صاحب المكانة السامية للتعرض لمثل هذا الموقف أجنبي شمس بكل هدوء:

- إنه شيء من التربية الروحية بين السالكين، ولا أريد أن أتشعب بك إلى ما لا يخصك فأنت رجل بحث وصاحب رسالة تريد أن تكملها بمصداقية وحياد، وهذا هو المطلوب.

كلامه منطقي ومقنع وأعلم أنه استطاع في مدة أقل من ثلاثة أشهر أن يصنع من رجل الدين والفقيه عاشقا راقصا؛ حيث انتقل الرومي من حلقات العلم

والتدريس إلى حلقات الذكر والإنشاد والشعر.

هنا كان عليّ أن أستدعي موقف آخر أريد الاستفهام عنه وخطر ببالي موقف شمس من مكتبة الرومي العتيقة النادرة والبئر الذي قذف فيه الكتب وأغرقها، وقد كان الرومي يحرص طيلة حياته على هذه المكتبة حتى إنه كان يمنع أهل بيته من التوجه نحوها أو محاولة الاقتراب من الكتب ولو للتنظيف، كان الرومي أثناء إلقاء الكتب في البئر يكاد يموت حسرة عليها، ولكن هذه المرة كان المشهد مختلفا

أرى الرومي يعرض على أنامله أثناء إلقاء كتاب منطق الطير للنيسابوري، وقد سال حبره أمامه في الماء... نظر شمس إلى رفيقه ففهم ما يعتريه، ومد يده في البئر ليخرج له الكتاب من الماء، وكأنه لم يتل، بل كأنه يخرج من رف المكتبة يعلوه التراب، ولا أثر لقطرة ماء تظهر عليه!!! ما هذا السحر؟؟

أجابني شمس دون أن ألفظ بحرف كالعادة:

- عند الانتقال من علم الشريعة إلى علم الحقيقة فلا حاجة لنا بالورق.

هنا يحضرني أبيات شعر قرأتها، والآن فقط فهمت
معناها عند أهل التحقيق.

قرأت كتبي فلما لم تغني قلت هيا
يا صاح هذي قشور فألقها ظهريا
لا تصلح النفس عندي إن لم توالِ وليا
وكان حظي عظيما وجدت ذاك الولى
مكنته من فؤادي فكان خلا وفيما
أزال منه سموما كانت وبالا عليا
وصب فيه علوما قد كان منها خليا
فاعبر إلى السر حسا ليس الثرى كالثرى

...

هنا تلخيص لعلاقة الرومي وشمس فقد كان شمس
بالنسبة للرومي هو الولي المعلم الذي أزال السموم
وصب العلوم

ويبقى التساؤل بداخلي أية علوم هذه؟

الحقيقة عمق شخصية شمس ومعتقدده وما ينادي
به عبارة عن محيط يغرق فيه أمهر السابحين فما
بالي وأنا لا أجيد العوم.... نعم خشيت على نفسي
من الغرق، ولكن القدر كان يدفعني بقوة نحو المصير
المحتوم. كنت مرهقا كأني عائد من سفر بعيد شاق،
وساد السكون المكان للحظات حتى قطع شمس هذا
الصمت قائلاً:

- يكفي هذا القدر الآن ونصيحتي لك ضعها نصب
عينك تذكرها دائماً [العشق أساس المعرفة والعلم
ومدينتنا لا يدخلها إلا عاشق ولا يصل لحقيقتنا إلا
صادق].

قالها وقام مغادراً تتبعه كيميا مع وعد بقاء أخير
غدا لوضع رتوش أخيرة تكتمل فيها الدائرة وينسدل
الستار.

لم أكن أريد ذهابهم فلدي الكثير من التساؤلات،
ووقت مناقشة الرسالة قد اقترب كما أنني لا أحب أن
تغادرني كيميا حتى ولو كانت بصحبة زوجها.

٢٣ مايو ١٩٨١

سكرة وفكرة

كاد عقلي أن يتوقف وأنا أتخيل أن الستار سينسدل،
وتنقطع عني كيميا... هل ستفارقني إلى الأبد بالفعل؟

هل تكتمل الحكاية ويغيب القمر عن سمائي
ويتركني في الليل البهيم أواجه الفقد والحرمان؟

تراحمت الأفكار حتى كاد رأسي أن ينفجر، ولم
ينقذني إلا النوم الذي استسلمت له لعل لقاء يجمعني
بها في المنام فالنوم نعمة كبرى لمن هم مثلي يتيهون
في أرض الشقاء.

جاء الموعد المرتقب، وجلست جلستي المعتادة
في المكتبة بعد أن حاولت إقناع نفسي بكامل
الاستعداد لما هو آت، وجهزت أفكارا جديدة لأطيل
من بقاء كيميا، جاءت كيميا هذه المرة بمفردها،
وكادت الفرحة تقفز من عيوني لعدم مصاحبته إياها،
فرغم رفته وحكمته إلا أن له مهابة تجعلني أخافه، ولا
أستطيع الاستغراق فيها وهو معها.

أَلَقْتُ السَّلامَ وَجَلَسْتُ بِشُوبِ قَرْمَزِي زَادَهَا بِهَاءٌ
وَحُسْنًا وَإِشْرَاقًا وَتَأَلَّقَا وَ.....مَهْلًا يَا هَادِي، فَأَنْتِ
تَتَحَدَّثُ عَنْ امْرَأَةٍ مَتَزَوَّجَةٍ، هَكَذَا نَهَرْتَنِي نَفْسِي فَقَدْ
بَتَ أَرَاوُدُ نَفْسِي وَأَرَدَ عَلَيْهَا كَأَنِّي أَتَحَدَّثُ عَنْ شَخْصٍ
حَقِيقِي أَمَامِي وَلَيْسَ أَثِيرًا جَاءَنِي مِنْ عَالَمِ الْأَرْوَاحِ
الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ.

قالت كيما:

- اليوم يوم حافل سترى فيه عجباً وتحيط بما لم
تخط به مراجعك جميعها.

أجبتها على الفور:

- وأنا على أتم استعداد يا أميرة القلوب ودرة التاج.

قالت:

- كما تعلم كنت مختلفة عن أقراني منذ الصغر،
وظللت هكذا حتى الممات فقد كانت الجدر
والمسافات لا تمثل لي عائقاً ولا تقصيني عن عوالم
لا يشاهدها غيري ولا علاقة لها بزمان أو مكان
فيمكنني الذهاب إلى أقصى الأرض شرقاً وأنا على

الطرف الآخر غربا وهذه منحة إلهية يمنحها الله لمن يشاء.

وقد اكتشف الرومي هذه الموهبة منذ اليوم الأول حين أخذني والدي إليه ورفضني قائلاً: إنه لا يعلم البنات ولما حدثته عن زوجته جوهر بدقة شديدة، وكنت أراها يقينا كانت ممسكة بيدي أثناء حديثي معه وكانت محجوبة عن الجميع لأنها في تعداد الأموات علم الرومي أن لدي خاصية مختلفة عن بقية البشر فقبل طلب والدي وتبناني فتريت ببيته وسط أبنائه ولما ظهر شمس وكان يمتلك نفس ما أمتلك من خصائص عرفني وعرفته وتحقق اللقاء المنشود.

كانت كيميا تقص علي بشكل شيق وممتع وكأنما كانت تطوف بي في رحاب سحر الأساطير وليالي شهرزاد وعرفت الآن كيف كان شهریار يتراجع عن النداء على مسرور السيف؛ لينهي حياة شهرزاد كلما أغضبه، وكيف كان يتلهف كطفل صغير لحكاياتها الأسطورية، ويخشع بين يديها فيتجدد كل يوم لها البقاء.

عجيب أمر الإنسان لا يستطيع تصديق الشيء إلا إذا تمكن منه، وأقسم أنني لو قرأت ما أمر به الآن من أحداث في إحدى الروايات لصنفتها ضمن الفانتازيا الخيالية من الدرجة الأولى، وربما أيضاً دسست أنفي بين صفحاتها وانتقدت البطل على حماقته وضعفه

وصلت بي كيميا في حديثها وعرضها لما وراء الحجب إلى كل ما كان يحيرني من تساؤلات، كنت أرى في المكان الذي يجتمع فيه شمس و الرومي ويحتجبا فيه عن الناس شخصاً آخر لم تره كتب التاريخ إلا وراء الجدران بعيداً كل البعد، كانت كيميا ترافقهم في جلساتهم وفي نفس التوقيت كان جسدها يجلس بين زوجة الرومي وأولاده، كيميا كانت تستطيع التواجد في مكانين في وقت واحد كيف يكون ذلك؟
الله أعلم!

لهذا السر الخطير والخاصية التي حباها الله إياها كانت تمنع نفسها من الاختلاط كثيراً بالمجتمع المحيط، وكانت تغلق بابها على نفسها فكتبوا ما كتبوا أن شمساً كان يمنعها من الخروج أو الاختلاط بالآخرين أو الخروج للسوق والثروة مع النساء بدافع

الغيرة أو الشك، كل هذا لم يحدث.

شاهدت كيف كان شمس يدلّ لها ويغدق عليها من
محبه وقربه وكيف كانا كعاشقين تقاسما وهج النجوم
في السماء، وتراقصا على نغمات بلابل الأيك على
الأغصان الغضة الخضراء...

أرى وأسمع منها فأندهش لهذا العشق الصافي
المنزه تارة وتغلبنني غيرتي تارة أخرى حيث كان قلبي
يدق طبوله في حائط صدري فيكاد ينفجر من بين
ضلوعي ألما وحسرة، علمت لماذا تزوج من هو في
سن شمس من وردة ندية على عروقتها في سن كيميا،
وكيف التقى ثلج الشتاء بندى الربيع، وكيف التقت
أطراف السماء بلقاء أبدي لا يرقى إليه أي لقاء...

ووصلت بي كيميا إلى اللقاء المحتوم الذي ذكر
في التاريخ على أنه الضربة القاضية التي تسببت في
موت كيميا كمدا وقهرا، شبهته بمعركة حقيقية حامية
الوطيس بين جسد استيقظ فجأة؛ ليطلب حقه في
المتعة المادية وبين روح سرمدية أقسمت أن لا تمكن
الجسد منها ولا يتم لقاء يمازج الطين ويخالطه وهن
الأشباح ونزواتها.

وكما تفعل الزوجة وضرتها في عراق حقيقي على زوج تريد كلا منهما الاستحواذ عليه وحدها دون الأخرى، تعاركت كيميا مع كيميا وكان التحدي بعد سبعة أشهر من الزواج كانت تغالب فيهم نفسها إلا إنها لم تستطع المقاومة فقد أعلنها الجسد صراحة فذهبت لوردة الصحراء أو عاهرة الحان سابقا، وكما علمنا قبلا طلبت منها المساعدة في اختراق غرائز زوجها، مع إلحاحها واستماتتها في استجداء الصديقة الثابتة علمتها وردة الصحراء كل فنون الإغواء والإغراء والتطيب... حتى الرقص علمتها إياه وأصبحت كيميا امرأة كاملة النضج تنتظر القطاف، وكانت الليلة السوداء التي أنهت المعركة لصالح أرواح اتفقت على الخروج إلى السماء حتى لو كان الثمن تمزيق جدران الأجساد، فقد فوجئ شمس بما فعلته كيميا بنفسها، وهو الذي عاش عمره كله متنسكا متغاضيا عن أي مطلب دينوي عبر رياضات عنيفة تدك متطلبات الأجساد ولو أنني غير مقتنع بمثل هذه المسارات فلا رهبانية في الإسلام، ولكنني لن أتدخل ولا يحق لي إلا وصف ما أرى أمامي

وقف شمس مشدوها أمام هذا الحسن، وهذه

الحرارة المنبعثة من جسد كيميا فقد أربكته، ولكنه سرعان ما أدار لها ظهره ليقهر نفسه ويقهرها عما تريد الذهاب إليه... ورأيت على الجانب الآخر من الغرفة عجا ففقد كانت كيميا الثانية أو لنقل روح كيميا بثوب أبيض رقيق تشاهد مثلي ما يتم داخل الغرفة وتراقب بكل قلق واهتمام مخافة أن يمثل شمس لرغبة الجسد، ويقع في الفتنة فتخسر معركتها، ولكن شمسًا حين نهر كيميا توجه على الفور إلى هذه الروح المترقبة ومد لها جناحه فانطلقت إليه واحتضنها صارخًا في كيميا قائلاً لها: اذهبي الآن يا كيميا فليس لهذا خلقت.

انخرط الجسد يللمم أشلاءه مهزومًا مذلولًا.

مشهد رهيب يعجز اللسان عن وصفه والتعبير عنه وقد تهالك الجسد المهزوم حزينًا مكلوّمًا ولازمت كيميا الفراش فاحتار فيها الجميع لا يدرون حقيقة سقمها، وأشفقت عليها النسوة وتجمعن حول فراشها ولم يتركها شمس للحظة في أيامها الأخيرة وكان يلبي لها رغبتها ويعزف لها موسيقى الروح على الناي الذي تحب أن تسمع نغماته فقد اعتادت أن يسمعها صوته

كلما بلغ منها الوجد مبلغه؛ فالأرواح الهائمة لها لغات
راقية لا نحصيها، هي تعد العدة للعروج إلى السماء
ومفارقة أهل الأرض.

كانت كأبي عروس تزف إلى السماء في زي
الحوريات، بوابة الخلود تفتح لها أبوابها، حديث
النأي إذا ترجم يمكننا القول بأنه كان يردد قول القائل:
[العشق لا آخر له فهو بحر بدون شط]

العشق يعنى الأبدية والتحرر وهو سر السر..

نظرت كيميا فوجدتني غارقا في بحر من الدموع وأنا
أشاهدها ممددة أمامي تودع الحياة الدنيا وابتسمت
قائلة: ألم تسمع قول الشاعر:

الحب روح سافرت في مثلها

إن أبحرت فمن المحال تعود

والعشق فلسفة إذا فسرتها

تجد الطريق لفهمها مسدود

عبد العزيز جويذة

ابتسمت ابتسامة باهتة أداري بها انهيارى أمام ما
أرى؛ حتى لا أفسد اللقاء..لقائي بكيميا الجالسة
أمامي بكامل رونقها وتألّقها،

ولقائي بكيميا التي تودع دنيانا وسط حلقة من
النساء يصمتن أحيانا ويثرثن أحيانا أخرى حول حقيقة
مرضها، ثم يصل الموقف منتهاه حين تبدأ روح كيميا
في الخروج من جسدها بثوب العروس الأبيض و هي
ترقص رقصة غريبة جدا ما رأيت مثلها في حياتي، ولا
أدري من أين أتت بها واختلط صوت الناي مع صوت
دفوف لا أدري مصدرها وروح كيميا غارقة في الرقص
كفراشة تغازل نور المصباح وتزداد إشراقا وترتفع أكثر
فأكثر نحو السماء حتى احتجبت عني تماما تاركة
جسدا فارقته روح الحياة مغمض الجفن ينتظر الذوبان
تحت الشرى إذ شيعوها بعيون باكية نحو مثواها الأخير
وانسدل الستار.....

- يا الله..ما هذا الذي رأيت أمامي؟ كيميا كيف لهذا
الموكب المهيّب أن لا يسجل في التاريخ؟ كيف
انطلقت الحورية بهذه السرعة، وهذا الخليط الغريب
من المشاعر؟! وما هذه الرقصة الغريبة يا كيميا؟

- إنها رقصة الموت يا هادي.
- وهل للموت رقصة؟
- نعم إنها رقصة موت عرائس السماء أو لنقل زفافهن إلى السماء.
- والآن هل أنا بحاجة إلى أن أقول لك أن الستار قد انسدل، وقد وفيت بكل ما وعدتك به وجاء دورك الآن فهل أنت مستعد؟
- ارتجفت حين ذكرتنى بالنهاية، ولم ألتفت إلا لكلمة واحدة [انسدل الستار]
- بادرتها قائلاً:
- أعني هذا أنني لن أراك بعد اليوم؟ مستحيل... مستحيل أن تتركيني ممزق الأشلاء طريد الهوى.
- تبسمت كيميا ثم قالت:
- اهدأ قليلاً يا رجل قد تجدني يوماً أمامك وتتمنى أن لا تنظرني عيناك فسبحانه مقلب القلوب وهو علام الغيوب...أجدد كلامي الآن عن الوعد لا تنس.

- أي وعد يا كيميا؟
- هل هذا أمر ينسى؟ ماذا كان وعدك لي مقابل أن ترى ما رأيت؟
- وعدت بأن أقدم روحي مقابل الحقيقة يا كيميا وأنا أقدمها فعلا فروحي ملكك ولكن لا تتركيني.
- يا مسكين القول شيء والفعل شيء آخر فلسنا في عالم وعود الشعر والشعراء أنت أمام واقع حقيقي اخترته لنفسك بنفسك، وقد سبقك شمس وقدم رقبته مقابل الالتقاء بالرفيق، وقد حدث بالفعل حين تكالب عليه محبي الرومي أو الابن الأصغر للرومي، وقتلوه وألقوه في البئر بعد موتي بأيام.
- أعني هذا أنك ستقتليني يا كيميا؟
- لن أقتلك ولكن روحك ستكون ملكي، وسأنتزعها يوما ما يوما سيختاره القدير، سترافقني روحك في الحياة السرمدية ويومها سيتبدل حال من بعد حال وتفتح الأذهان..... إلى اللقاء يا هادي
- قالتها وتلاشت من حولي كما الدخان، ولكن أريجها

لا زال يغرق الغرفة فقد يختفى الورد عن العيون، ولكن
رائحته تنتشر مغدقة عبيرها على العشاق.. ودعتني بلا
وداع وتركتني هائما حائرا.

٢٥ مايو ١٩٨١

أرض الواقع

لا أدري كم من الوقت استغرقت وأنا ممدد في فراشي أهذي بأحاديث غير مفهومة بين من أحاطوني في مرضي، فقد أصابتني حمى شديدة بعد هذا اللقاء الرهيب، وفقدت الوعي لأيام ثم استغرقت شهوياً عديدة لأستوعب ما أنا فيه وما صرت إليه صحياً ونفسياً، والذي وأصدقائي وخطيبي قد أرهقهم القلق والمتابعة لحالتي.... خطيبي! شر البلية ما يضحك نسيت أن لي خطيبة كنت قد اتفقت معها على الزواج بعد إتمام الرسالة، وقبل ظهور كيميا كانت الأمور تمشي على ما يرام.. ولي أيضاً أصدقاء ابتعدت عنهم في الفترة السابقة، وقد ظنوا أنني منشغل بإعداد الرسالة، لذلك تجنبوا إزعاجي، وقد تخيلوا أن كل التغيرات المزاجية التي حدثت لي نتيجة ضغوط العمل عليها، شخص واحد فقط هو الذي كان يراقبني، ويعلم ما بي ويلتزم الصمت في توتر بالغ، إنه والذي، وقد كان يحوم من حولي، وقد بلغ به القلق ما بلغ حتى تدهورت صحته

لأجل، ولم أنتبه لذلك فقد كنت في عالم آخر.

نظرا لما مررت به من أزمات عطلت كل خطواتي العملية والشخصية كنت أحادث نفسي كثيرا بشوقي لها وحنيني تارة وعتابي وثورتي تارة أخرى... وأحيانا أفكر في الطريقة التي ستأخذ بها روحي، وأحذر نفسي أن لا أعرض نفسي للمهالك حتى إنني امتنعت عن قيادة سيارتي لفترة طويلة مخافة أن يحدث لي شيء، لن أقرب من مواطن الخطر، هل ستأخذ روحي وأنا ممدد في فراشي؟ أم ستأخذها وأنا بين زملائي في العمل أم وأنا في مكثبي؟

ثم يعود لي عقلي فأهدئ من روعي مذكرا نفسي بأن الروح لا يقبضها إلا خالقها، لم تكن كيميا هي عزرائيل حتى يוכלها الله لقبض روحي، إنها مرحلة من أتعب مراحل حياتي على الإطلاق.

في الحقيقة تحملتني خطيئتي قدر المستطاع، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها ومحاولاتها باءت بالفشل، فانسحبت بعد أن وصلنا إلى طريق مسدود.

أيضا في عام الحزن هذا توفي والدي ليتركني وحيدا

أعاني الأمرين

ومن المهازل الكبرى أيضاً أنني لم أستطع تقديم الرسالة في موعدها واكتشفت أنني كنت غافلاً عن أمر هام وهو أنني لا أستطيع تقديم معلوماتي الجديدة التي اكتسبتها من خلال ما رأيته بعيني وكلام شمس وكيميا لا يعتبر توثيقاً في الرسائل البحثية التي تعتمد على المراجع العلمية.... ألم أقل لكم: إنها سخرية الحياة وغباء بني الإنسان.

١٥ أغسطس ١٩٨٢

ظلوما جهولا

ماذا أقول؟...مضى ما مضى من أيام وليالٍ وشهور، ومازال القلب يتحرق شوقاً إليها، ربما أكون تجاوزت حمى البدن، وغادرت الفراش، وعدت إلى عملي وحياتي وبعد كل ما فعلته بي كيميا لا أستطيع إلا أن أدعو لها بالمغفرة، إن الله -عز وجل- لم يخلق الحب ليجرمه و قلبي ليس ملكي فلماذا أنهره وأنهاه عنها؟

وفى نفس الوقت أقسم أنه لو كان للوجع إله لكانت كيميا هي إلهة الوجع، كيميا التي كانت بداخلي بركانا من الكلمات التي تنسى نفسها على لساني أو ترفض الحروف تشكيلها فتظل حبيسة جدران لا يخترقها مخلوق، قهرتني بحبها وما أصعب أن يقهر قلب رجل أحب ولم ير يوماً من محبوبته إلا الجفاء والصدود، وكلما اقترب وتولّه تدللت وتمنعت، كلما مد إليها يده ردتها...ثم اختفت.

اقهريني يا كيميا ولكن لا تختفي هكذا، احرقيني

بنار حبك ولكن لا تهجريني، لا مانع لدي أن أفقد
عقلي، ولكن لا أريد فقد قلبي وأنت بداخله، كل يوم
أتلو عليها صلوات الحب هذه عليها تظهر، ولكنها لم
تأتي

دعوت الله في لحظة جهالة وحماسة أن يجعلها أي
شيء يرافقني في حياتي فكأنما استجاب لي فصارت
كابوسًا يرافق خطواتي في صحوي ومنامي ويهددني
في كل لحظة.....كابوسًا لا يفعل شيئًا سوى أن
يذكرني بروحي التي صارت من حقها..

٢٨ أغسطس ١٩٨٢

على هامش الذكرى

ما أصعب أن تحب من تعلم تمام العلم أنك
لا تشكل على خارطته أي خط فلم تسعني مدنها
وصحاريها بل تضعني على الحدود ويني وبينها ألف
سد وقد ران على قلبي غيابها وأصبحت لا أراني في
مرآة ذاتي فأستنكرني وأبحث عني فلا أجدني بل
أجدها هي وأحيانا يصعب عليّ حالي فلا أدري أيكفي
أن أعتذر لنفسي عما فعلته بها أم أقدم أكفاني كمن
قتل نفسا بغير نفس.

مضت الأيام وتسربت تسرب المياه من بين الأصابع
والجميع من حولي يحاولون مساندتي في وحدتي
ومحنتي، أصدقائي أكاد أحسد نفسي عليهم وعلى
تحملهم إياي في ظروف هذه.

فريد كان صديقي المقرب لم يياس ولم يكف عن
مساعدتي ودعمني وقد بدأ يبحث لي عن شريكة
لحياتي تأخذني من نفسي ومن وحدتي وقد مضى على

ما حدث لي مع كيميا أكثر من ثلاث سنوات، لازلت أظنه كان بالأمس القريب، وبدأت أقتنع بوجهة نظر فريد في محاولة للتخلص من أشباح وأوهام الماضي إلا أنني تركت له مهمة البحث عن الزوجة؛ لأنني لم أعد أرى فالكل في عيني سواء فقد كنت أبحث عن وجه كيميا ولا أظنني سأجد هذا المطلب الشبه مستحيل، كلما وصل فريد أو غيره من أصدقائي إلى من يظنونها تناسبني نفرت روعي منها ورفضتها بأي حجة فأفسدت كل مشاريعهم من اللقاء الأول بل ومن النظرة الأولى حتى أصابهم اليأس مني، لكن الصدفة تدخلت بشكل غريب لأجد مبتغاي أو قلدي ونصبي في منزل فريد نفسه الذي كان يبحث لي عن إبرة في كومة من القش، والإبرة كانت في منزله من لحمه ودمه؛ فقد كانت أخته رباب تمتلك قدرًا كبيرًا من المطابقة للشروط ولم تخطر ببال أحد؛ لأنهم كانوا يعتقدون أنني أعرفها حق المعرفة، ولو أردتها لطلبتها، رأيتهما عندما شاء القدر كأني أراها للمرة الأولى فأعجبني، كانت مفاجأة لفريد في البداية ولم يصدقني في جدية الأمر، وطلب مني التمهّل وإعادة التفكير حتى لا أظلم نفسي وأظلمها، أنا أعلم مدى

محبتة لإخوته وقربه منهم بعد أن تركهم والدهم أمانة في عنقه ورحل عن عالمنا تاركا لهم أما فاضلة وفتاتين زوج إحداهما، وبقيت رباب التي تواصل دراستها الآن في كلية الإعلام، أخذت فرصتي كما طلب فريد وظللت أتابعها عن كثب لفترة ثم عاودت طلبي هذه المرة بكل ثقة وقناعة، وكانت فرحة فريد تعادل فرحتي وزيادة بهذا النسب بين أخته الغالية وشقيق لم تلده أمه وكان الارتباط المقدس الذي بدأ يعيد للحياة اتزانها وبريقها وأنا الآن أعد العدة لإنشاء عش الزوجية السعيد إن شاء الله.

١٤ يناير ١٩٨٥

نسيت أن أنسى

تم الزواج

وكانت رباب شخصية جميلة تحمل روحًا خفيفة
تملاً المكان بهجة وسعادة، تجاوزت معي سريعاً
وخاصة أنها لا تعلم أي شيء عن حكايتي مع كيميا
فقد كان فريد نعم الأمين على أسراري

المشكلة أنني كانت لي سقطات تستنكرها أي
أنسى، وتستفز مشاعرها.... لا إرادياً كنت أ تدخل في
رائحة عطرها، وطريقة تصفيف شعرها، كنت أبحث
من خلالها عن رائحة كيميا وملامح كيميا وطريقتها
في التزين، غيرت عطرها كثيراً، وجربت كل الماركات،
وكلهم كانوا عندي سواء فلم أجد فيهم ما كنت
أستنشقه من عطر كيميا، مسكينة رباب كانت عندما
تشعر بالعجز عن إرضائي تقول لي: اذهب بنفسك
واختر لي عطر المفضل الذي لا وجود له ومشط لي
شعري أيضاً وافعل به ما تراه مناسباً أو أرني صاحبة

الخطر نفسها وأرحني من هذا العناء، وأرى الدموع تتلأأ في عينيها و هي تقول لي ذلك فيرتد لي عقلي فأحاول إصلاح ما فعله حماقتي وأحتويها ببعض الكلمات وأحتضنها مقسما لها أنني لا أعرف امرأة غيرها حتى آتيها بها و أنها زوجتي وقمر حياتي وكلام من هذا القبيل الذي يقال في مثل هذه المواقف المحرجة...وأمتص ثورتها فتعود لكامل صفوها فقد كانت تحبني والحب يمحو وينسي تلك الصغائر والتفاهات.

أما على صعيد العمل فقد تغير اتجاهي بالكامل بدأت أتعامل بشكل أقل تكلفا وحدة مع تلامذتي في المدرجات وبدأت أستمع إلى نقاشاتهم بشيء من النفس الطويل بعد أن كنت أضيق من مجرد اختلافهم معي في الرأي متعلقا بأذيال المراجع حرفيا دون النظر إلى الجانب الإنساني في شيء، اكتسبت حبهم أخيرا، واتسع المجال أكثر فكنت مقربا لأغلبهم حتى على الجانب الشخصي كنت مكمّن أسرارهم وكأني واحد منهم بشكل أرضائي أنا شخصا في احتواء فجوة الأجيال كذلك أحببت الموسيقى وعشقتها أذني كما لو أنني كنت أصم قبل ذلك حتى تفتحت آذاني على

تلك الألحان، الأغرب من ذلك أنني قمت بشراء بيانو عتيق من أحد المزادات ووضعتة في غرفة المبكى فقد شبّهت غرفة مكّتي بحائط المبكى عند اليهود؛ حيث أضع فيها نرف قلبي على ورق دفّري السري ثم أنصرف لإكمال طقوس يومي بعيدا جرت أصابعي على البيانو دون سابق معرفة أو علم بفنون العزف على مفاتيحه... كنت أغلق بابي وأعزف ألحانا خاصة لا يفهمها سواي كلها كانت لكيميا، ولكني لا أتقن لغتها لأعلم أي حديث يسري منها لكيميا وما السحر الذي يملكني لأفعل هذا وكأنها كانت شفرات أرواح غير مسموح لي باختراقها، المضحك أن رباب كانت تستعذب عزفي هذا وتصفه لي بالعقري في حين أنني كنت لا أراه إلا نشيجا لنواح قلبي وألمه... مسكينة هي فإنها لا تدري ما وراء هذه الألحان.

١٥ سبتمبر ١٩٨٥

إشراقات

وهبني الله أولى ثمرات حياتي الجديدة، و التي
أثلجت صدري وقرت بها عيني إنها ابنتي الحبيبة، وقد
أسميتها روان، اخترت لها هذا الاسم لتكون زهرتي
البحرية التي تبحر بين أمواج قلبي فيغرقني غيرها
وأتوه فيها وبها عن أي شيء آخر.

منذ اليوم الأول لمولدها شعرت أنها المنقذ لي من
كل أحزاني حيث انتشلتني من كل شيء وأصبحت
كل حياتي، نسيت بها همي وشقائي هناك مشاعر لا
يمكن أن نستوعبها ونقدرها قدرها إلا إذا دخلنا في
عالمها.

سبحانه وتعالى كم هو جميل ورحيم يعطي فيدهشنا
بعطائه ويغرقنا بعظيم نعمائه فله الحمد والمنة على ما
وهبني.

٢ أغسطس ١٩٨٦

روان ووسام

بعد أن رزقني الله بروان وهبني أيضاً ابني الحبيب
وساماً فزاد البهجة بهجة واكمل به البيت السعيد، إلا
أن روان فاق مكانها أي تقدير، وكلما كبرت أخذتني
إليها أكثر فأكثر.

يوماً ما جاءت من وراء ظهري، ووضعت كفيها
الرققتين على عيوني قائلة:

- من أنا؟

قلت لها:

- أنت روحي.

ردت غاضبة وقد سحبت كفيها عني:

- لم تعرفني يا أبي؟ أنا روان

قلت لها:

- بل أنت روحي

أجلستها على حجري، وأفهمتها معنى الكلمة وأنها
أغلى ما عندي بهذه الكلمة فأخذت تتقافز فرحة.

وذهبت تغيط والدتها قائلة:

- أنا روح بابا... أنا روح بابا.

فجاءني وسام ووقف ينظر لي وفي عيونه اللوم
والعتاب فلسانه لا يجيد النطق والتعبير إلا أنني قرأت
في عيونه ما يريد قوله فحملته واحتضنته وقلت له:

- أنت حياتي.

ضحك وأخرج لسانه لروان، وكأنه يفهم معنى
الكلمة التي خلعتها عليه.

صدق من قال [فلذات أكبادنا تمشي على الأرض]

كم هي جميلة الحياة إذا ما تبسمت لنا نحن
الضعفاء.

١٠ أكتوبر ١٩٩٢

مشوار

نعم تباعدت جلساتي السرية بيني وبين أوراق
أجندتي؛ لأن الحياة الجديدة بتبعاتها أخذتني والأيام
تسرقك حتى من نفسك

ولأنني تشبعت بحب جديد، روان ووسام سلبا عقلي
كنت أحاول كثيراً أن أعلم روان العزف الموسيقي،
ولكن محاولاتي باءت بالفشل فلم أجد لها عزماً، ولا
رغبة في تعلم العزف

ونصحتني رباب أن لا أحاول الضغط عليها فهي
ستبحث عن هوايتها بنفسها فمن أراد شيئاً سعى إليه،
وبالفعل كانت روان مغرمة بالرسم، تجري على ألوانها
وكراستها وتطلق خيالها لترسم ما يخطر ببالها بكل
بساطة واستغراق فتركتها لألوانها وشخبطاتها.

في أحد الأيام سمعت صوت عزف على البيانو
خارجاً من غرفة مكثبي ففرحت وتوجهت سريعاً نحو

الصوت ظلنا مني أن روان قد أرادت مفاجأتي وتعلمت العزف تحقيقاً لرغبتني، ولكن المفاجأة التي عقدت لساني وخالفت توقعاتي أنني وجدت وساماً هو الذي يتقن العزف بهذا الشكل رغم أنني لم أحاول مرة واحدة معه.

كان كل ما يحدث أنه يقف بجوارنا أثناء محاولاتي لتعليم أخته دون أن يتدخل، وسام لم يتجاوز العشر سنوات فكيف تعلم بهذه السرعة والبراعة؟!

كانت فرحتي به شديدة، دعمته ووفرت له جميع السبل في تنمية هذه الموهبة.

كما أنني لم أمانع أن تتعلم روان أصول الرسم، وتلتحق بالعديد من الكورسات على هامش حياتها الدراسية ونبوغها الظاهر للجميع

١٠ يوليو ١٩٩٨

هواجس

كبر الأبناء وكبرنا معهم، كانت روان كالوردة
المتفتحة كلما كبرت ازداد جمالها وإشراقها، كنت لا
أتخيل أو أتحمل غيابها عني ولو لساعات.... ففي
وقت العمل كنت على الأقل أستمع إلى صوتها عبر
الهاتف، صوتها الذي أشعر أنه يأتي من عالم آخر،
عالم أعرفه ورنه صوت تتخللني منذ زمن بعيد، ولكني
لا أريد تذكره فقد اكتفيت بمملكتي.

روان كانت محيرة، أحيانا تصدر منها أشياء تجعل
نبضات قلبي تكاد أن تتوقف وأحيانا أخرى كنت أشعر
أنها مبعوثة فقط لسجني في زنزانة الماضي حيث
كيميا، ولكن سرعان ما أطرده ذلك الخاطر مستعيذا
بالله من كيميا ولعنتها.

أبعد كل هذا الغرام والتهتك في حبها أستعيذ منها؟

أتذكر تنبؤاتها عندما قالت لي:

- قد تجدني يوما أمامك حتى تتمنى أن لا تنظر إليّ
عيناك.

يالها من هواجس مريرة تلاحقني وأخشى الاستغراق
فيها فتكدر صفوي وتقهرني.

٢٥ أبريل ٢٠٠٢

مشروع التخرج

تخرجت روان أخيرا من كلية الفنون الجميلة، ووسام التحق بكلية الهندسة برغم براعته في عالم الموسيقى والتلحين، ولكنه استطاع التوفيق بين المجالين، وما زلنني حقيقة وفاق تحملي مشروع التخرج الذي قدمته روان وحصلت به على تقدير الامتياز بجدارة كان عبارة عن لوحة زيتية ضخمة لوجه امرأة خارقة الجمال تكاد تخرق اللوحة لتتجسد حقيقة أمام الناظرين.... بعد كل هذه السنوات يطل على وجه كيميا... نعم إنها ملامح كيميا، ولست مجنونا فصورة كيميا مطبوعة بداخلي وأعرف تفاصيلها جيدا.

ولكن كيف رسمتها روان؟!

لم أستطع مغالبة نفسي سألتها بلهفة و بشكل مباشر:

- أين صاحبة هذه اللوحة يا روان؟

أجابتنني ضاحكة:

- أهكذا بكل جرأة تسجل إعجابك بامرأة غير زوجتك يا دكتور؟

وتصيح بمرح..... أين أنت يا رباب؟

فتبتسم والدتها قائلة:

- أولى بك أنت أن تغاري الآن فأنت غريمتي الوحيدة في هذا الرجل، والحق يقال اللوحة فاتنة بالفعل.

قاطعتهم دون أن أبتسم للحوار الدائر وقد بدا علي الانفعال مكررا نفس السؤال بإصرار أكبر مما لفت انتباه البنت أكثر فردت بجدية هذه المرة أنها لم تلتق بالشخصية حقيقة ولا تعرفها إنما فقط تراها في المنام منذ الصغر، وقد طبعت صورتها في ذاكرتها وحاولت كثيرا رسمها إلى أن وصلت إلى هذا المستوى.

تأتيها في المنام!!

- كيف تأتي في المنام يا روان ولماذا لم تخبريني بهذا الأمر؟

- ليس الأمر مفاجئاً يا أبي كي أخبرك أنها تأتيني من خلال بوابات عتيقة وراء السحاب، ولا تفعل شيئاً سوى أن تبتسم لي ثم تغادر في هدوء.

روان تحكي وأنا في قمة الاندهاش والحيرة إذ إنني كما كنت حريصاً على السماع فإن ما تقوله يخيفني وأتمنى أن تصمت ولا تحكي شيئاً أو أن تصم آذاني فلا أسمع شيء.

لماذا يا كيميا تذهبين إليها في منامها ما شأنك بابنتي؟!

ولا أدري أشكر كيميا لأنها تسببت في حصول ابنتي على هذه الدرجة العلمية المشرفة، أم ألومها وأوبخها على ظهورها لها.

انتهى الأمر، فالنسيان كفيل بمحو مخاوفنا والخلاص من أفكارنا المؤرقة، فلماذا لا أقول مثلاً: إنني أعطيت الأمر أكبر من حجمه وأنني غير متزن نفسياً بسبب مخاوفي أن تفارقني روان بعد أن تتزوج ويأخذها مني رجل آخر مثلما غادرتني كيميا لذلك تذكرت الماضي وتخيلتها صاحبة اللوحة، يبدو أنه لا فائدة وأن

معاناتي ستظل متجددة وأن نارها تتأجج كلما ظننت
أنها خبت واستحالت رمادا استيقظت من جديد.

١٤ يونيو ٢٠٠٨

الغريم

اليوم يوم حافل ولا يحسد عليه أي أب في الدنيا
فكيف لي أن أواجهه بدون دموع، حتى دموعي
مختلطة حيث تمتزج دموع الفرح بزفاف ابنتي بدموع
الحزن لتركها منزلي والذهاب إلى منزل جديد.

أنا لا أنكر أن الشخص الذي اختارته ممتاز، وليس
به ما يعيبه ولكني أكره أن يختطفها أحد مني.

شعور سخيـف وموقف رهيب، ولكن هذه هي سنة
الحياة الغالبة.

سيحضر الفرح سيادة عميد الجامعة والسادة
الزملاء، حتى تلاميذي دعوتهم، ماذا سيكون موقعي
أمامهم لو انهمرت دموعي وأنا أسلم روان لغريمي
الذي سيأخذها مني؟

١٤ نوفمبر ٢٠١٠

الوعد

جو من البهجة يسود المنزل إلا من بعض سخافات
عابرة نتيجة التوتر واقتراب الموعد.

وقف الدكتور هادي أمام المرأة ينظر إلى نفسه
باستغراق ويحاول تجاهل ومداراة بعض خصالات من
الشعر الأبيض محدثا نفسه أن الشيب وقار فلماذا
أخشاه؟

الحقيقة هو يتصرف بشكل صياني هذه الأيام
وكلهم يعرفون السبب

فاجأته زوجته وهي تتعجله للنزول فالوقت قد حان
للذهاب إلى القاعة المعدة للزفاف.

قالت له بسخرية:

- ساعة أمام المرأة تتجمل وكأنك العريس؟ أكاد
أجزم أنك لم تحاول فعل ربع ما تفعله الآن ليلة
زواجنا.

لم تضحكه كلماتها ؛ لأنه بالفعل يبالغ في اهتمامه
الزائد في مظهره وكأنه يريد أن يكون هو العريس نجم
الحفل.

انصرف الجميع إلى قاعة الأفراح في انتظار وصول
العروس وبدأ الضيوف يتوافدون وقد حاول الدكتور
هادي أن يسيطر على أعصابه ويبدو متزنا، وظهرت
العروس كالبدرة ليلة تمامه فأسرع إليها الخطى
يستقبلها، أمسكت روان بيده وحاولت تقبلها إلا إنه
جذبها إليه واحتضنها بقوة والقلم هنا يعجز عن وصف
قوة هذه الضمة من أب في طيبة هادي وحنانه، انقبض
قلب الدكتور هادي، وهو يضم ابنته ويشم فيها عطر
كيميا..... ما هذا الوسواس؟ ولماذا يتذكر كيميا الآن
وقد أصبحت بالفعل لعنة ترافقه حتى في وقت كهذا.

من أين جاءت روان بعطر كيميا الذي ظل يبحث
عنه سنوات دون فائدة؟

لن يستطيع حتى سؤالها عن هذا فلم يصل بعد إلى
هذه المرحلة من العته.

كان الحفل جميلا والعروس في قمة السرور

والاندماج مع زوجها والفقرات رائعة إلى أن قدم وسام
هديته للعروسين وقد كانت الهدية عبارة عن لحن أعده
خصيصاً لأخته التي قامت ترقص على هذا اللحن،
لست بحاجة إلى أن أقول: إن اللحن المعزوف كان
قادمًا من زمن آخر.... زمن كيميا.

وإن الرقصة التي ترقصها روان الآن هي... رقصة
كيميا

وإن كيميا نفسها بدأت تراقص روان التي استغرقت
في الرقصة التي ما أن رآها هادي حتى كاد أن يشل
وهو واقف مكانه يحاول أن يجر أقدامه ليفعل شيئاً
يوقف به هذا الجنون وهذا المصير

روان ترقص رقصة الموت! كيميا جاءت بنفسها
لأخذ روحه

روان روح هادي..... كيف نسي الوعد؟ أهكذا
تكون النهاية

ويرى ابنته وهي ترتفع نحو السماء وهي لا تتوقف
عن الرقص وكيميا تنظر إليه باسمه فيرتفع صوته
صارخاً:

- لا يا كيميا لا.....

هنا وعند هذا الحد وأمام هذا الكابوس الأسود
تستيقظ زوجته على صرخته هذه فتضيء المصباح
مستعيذة من الشيطان وتسأله بقلق:

- ماذا هناك ؟

يبدأ في استعادة وعيه وقد ارتفعت نبضات قلبه
كمن هو قادم من سفر بعيد ليدرك الآن أنه كان يمر
بكابوس فظيع وأن لا شيء مما رآه قد حدث وأنه لا
يعلم شيئاً لا عن كيميا ولا عن حكايتها وأنه لم ينجب
إلا ولدين، وليس لديه بنت من الأساس، وأن زوجته
اسمها سارة

وأنه هو نفسه اسمه الدكتور أحمد عبد الهادي،
الشيء الوحيد الحقيقي فيما رآه أنه أستاذ التاريخ
بجامعة القاهرة

كل هذا حدث بعد نزاع طويل مع لجنة خبراء
تطوير المناهج، وقد اعترض على تسييس المناهج
بحسب التطورات أو الاعتبارات السياسية للدولة وحالة
التخبط التي تمر بها البلاد وعواصف التغيير وقد بات

ليلتته مؤرقا مهموما حائرا أيقبل أم يرفض أن يرأس
تلك اللجنة ويساهم في التطوير، بعد هذا الحلم أو
الكابوس كان المؤشر واضحا فلن يقبل أن يضع يده
في يد من يحاول دس أنفه في التاريخ وتزويره، وتخيل
نفسه أمام سيف أو مقصلة صلاح الدين لو كتب ما
لا يروق للقائد العظيم، أو وهو يقذف بنفس القباقيب
التي قتلوا بها شجرة الدر مثلاً إذا لم يلزم الحياء أو
خانه التقدير.

هنا حسم الموقف وقام بإحضار قلمه وأوراقه وكتب
اعتذارا رسميا عن هذه المهمة الجليلة

واختتمها بقوله: يا كاتب التاريخ احذر فأني شرف
نلت، أم أي أمانة حملت، أم أي ظلم ظلمت به نفسك
حين اخترت المغامرة.

خاتمة

كنت أظن أن الرواية ستكون التجربة الأولى والأخيرة
لي

وأني كاتبة فاشلة زادت صفوف الفشل المتراكمة
في دور النشر

ولكن كيميما أكدت لي أن الرواية حققت نجاحا
منقطع النظير فقد وصلت طبعاتها إلى الآن ما تعدى
الثلاثين طبعة، وتلاحقنى طلبات بتحويلها إلى عدة
لغات أخرى، كما أنها تم تحويلها سينمائيا ولاقت
أعلى نسبة نجاح لذا كرموني في مهرجان بوليوود هذا
العام ويتم الآن تحضير الرواية لعملها مسلسل هندی
عدد حلقاته ٥٤٠٠ حلقة

وقد حولت معظم رصيدي من أرباح الرواية إلى
بنوك سويسرا.

إنه حلم كيميا

فهي جاءت عبر الأزمان من خلال رواياتي لتفصح
عن حقيقة ما حدث لها مع شمس بعد أن صمتت
عنه كل هذه القرون وتحلم أن تصل رسالتها وتحقق
بالفعل صدى واسعاً يعيد لها حقها المسلوب

أما أنا فسامحوني إن لم تحقق الرسالة صدى لديكم
أو تخاطب قلوبكم أو أن تكون كيميا سرقت بعضاً من
وقتكم الثمين.

الفهرس

المقدمة.....	٣
الإهداء.....	٥
حيرة الاختيار.....	٧
شمس التبريزي.....	٩
ليفعل الله ما يريد.....	١٠
على عتبات الفخ.....	١٣
كيميا.....	١٤
إنه في ضيافتهم.....	١٦
في حضرة الجفاف.....	١٨

١٩.....	في رحاب البراءة.....
٢٠.....	أحداث متسارعة.....
٢٢.....	نار الحجب.....
٢٤.....	مقايضة.....
٣١.....	دوست.....
٣٥.....	بصحبة زوجها.....
٤١.....	سكرة وفكرة.....
٥٣.....	أرض الواقع.....
٥٦.....	ظلوما جهولا.....
٥٨.....	على هامش الذكرى.....
٦١.....	نسيت أن أنسى.....
٦٤.....	إشراقات.....

٦٥.....	روان ووسام
٦٧.....	مشوار
٦٩.....	هواجس
٧١.....	مشروع التخرج
٧٥.....	الغريم
٧٦.....	الوعد
٨١.....	خاتمة
٨٣.....	الفهرس

